أثر السياق في توجيه دلالة مصادر الجذر (وَلِيَ) في القرآن الكريم

The effect of context in directing root sources and (Guardian) in the Holy Quran

الباحث– علي حسين خلف[١] أ. د– أحمد جعفر داود الزبيدي

جامعة واسط/ كليّة التربية للعلوم الإنسانية –

Lyalzawy٦٣٥@gmail.com aalzbedi@uowasit.edu.iq

المستخلص

لا يخفى على كلّ مطلع في العربية أنَّ لكلّ لفظة دلالتين: أساسية، وثانوية، فالأولى تكمن في معناها المعجمي الذي وضع لها في أصل الوضع اللغوي، والثانية تكمن في معناها الذي أوجبه السياق التي وردت فيه، ولهذا فقد جاء هذا البحث لتسليط الضوء على المعنيين من خلال البحث عن مصادر مادة (وَلِيَ) وما أفادته من معانٍ عن طريق السياق القرآني، فقد قسّم البحث على مبحثين: الأول: تناول المصدر الأصلي لهذه المادة، والثاني: تناول المصدر الميمي لهذه المادة، متتبعاً في ذلك دلالتهما عن طريق السياق القرآني، فقد كانت كتب التفاسير المنهل الأساس الذي غرف منه الباحث مادته، فضلاً عن غيرها من المصادر.

(١) أثر السياق في توجيه دلالة الجذر (وَلِيَ) في القرآن الكريم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة واسط/ كليّة التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢١.

Abstract

It is not hidden from every knowledgeable person in Arabic that every Word has two connotation: primary and secondary by searching for the Article(guardian) and it is meanings through the Quranic context the Search was divided in to two sections: the first :dealing with the original source of this material and the third dealing with the meme source of this material traching their significance through the Quranic context the Books of interpretations AlMnhal were the basis from which the Researcher scoured his material as well as other sources.

المقدمة

الحمد لله الواحد الفرد الصمد الذي منّ علينا بأعظم نعمةٍ ألا وهي النطق بأشرف لغة، لغة القرآن الكريم، وأتم السلام على المبعوث رحمة للعالمين أبا القاسم المصطفى محمد وعلى آله الغر الميامين، وبعد:

المصادر: هي جمع مصدر، والمصدر: "هو الاسم الذي يدل على الحدث مجرداً من الزمن والشخص والمكان"[١]، وسميّ المصدر بهذا الاسم؛ "لأنّ الأفعال صدرت عنه، أيّ: أُخذت منه"[٢]، ويشترط فيه: أن يكون مشتملاً على أحرف فعله الماضي، سواءً أكانت هذه الحروف أصلية أم مزيدة[٣]، وبين علماء المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية ثمة خلاف في أصل المشتقات: إذ يرى البصريون: أنّ الأصل هو المصدر، ويرى الكوفيون: أنّ الأصل هو الفعل،

(١) أبنية الصرف في كاب سيبويه، الدكتورة خديجة الحديثي: ٢٩٨.
(٢) شرح المفصل، ابن يعيش: ٤٦/٤.
(٣) ينظر: تصريف الأسماء والأفعال، الدكتور فخر الدين قباوة: ١٢٨.

ولكل منهما أدلته التي ذهب إليها، وقد فصّل القول فيها صاحب الإنصاف، مرجحاً رأي البصريين في ذلك[١]، وللمصدر أنواع مختلفة عدّها الصرفيون ستة مصادر وهي: "المصدر الأصلي، مصدر التوكيد، مصدر المرة، مصدر النوع، المصدر الميمي، المصدر الصناعي"[٢]، ولم يأتِ في القرآن الكريم من مادة (و ل ي)، إلاّ المصدر الأصلي والمصدر الميمي، وهما على النحو الآتي:

المبحث الأول: المصدر الأصلي:

هو: "اسم يدل على الحدث، مجرداً من الزمن والتوكيد والنوع، وهو ليس مبدوء بميم زائدة، عدا المفاعلة، ولا مختوماً بياء مشددة بعدها ياء"[٣]، والمصدر الأصلي الذي ورد ذكره في القرآن الكريم (وَلَاية)، وهو مصدر الفعل الثلاثي المجرد (وَلِيَ)، على زنة (فَعالة)، وأصل المادة يدلّ على القرب، جاء في معجم مقاييس اللغة "(ولي) الواو واللام والياء: أصلٌ صحيح يدلُّ على قرب. من ذلك الوَلِيُ: القرب. يقال: تَبَاعَدَ بعد وَلي، أيّ قُرْب. وجَلَسَ ممّا يَلِيني، أي يُقارِبُني"[٤] و "الوَلِيُّ الناصِرُ، وقيل: المُتَوَلِّي لأُمور العالم والخلائق القائم بها...والوالي هو مَالِكُ الأَشياء المُتَصَرّفُ فيها"[٥]، وقد ورد مصدر (الوَلَاية) في القرآن الكريم تارة معرفاً بأل وتارة مجرداً منها مضافاً إلى الضمير وهما على النحو الآتي:

﴿الوَلَاية﴾

التعريف كما هو معروف ما يدل على معين، بخلاف التنكير الذي لا يدل على معين، وقد ورد (الوَلَاية) مصدراً معرفاً (بأل) في موضع واحد في قوله تعالى:"**ئز قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم ئر** "، ونلحظ فيه أنَّه جاء مسنداً إلى اسم الاشارة المنصوب على الظرفية وهو (هنالك)، والمراد به الإشارة إلى الدار الآخرة، ومسند إليه لفظ الجلالة، وبمتابعة سياق هذه الآية

---

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري: ٢٣٥/١.
(٢) تصريف الأسماء والأفعال، الدكتور فخر الدين قباوة: ١٢٨.
(٣) المصدر نفسه: ١٣٢.
(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ١٤١/٦.
(٥) لسان العرب، ابن منظور: ٤٠٠/١٥.

والآية التي قبلها وبعدها، نجد أنّها جاءت بين مثلين يضربهما الله تعالى، فالمثل الأول: عن صاحب الجنتين الذي أغتر بجنته حينما ظن أنّها لن تبيد وأشرك بالله، والمثل الثاني: عن الحياة الدنيا وتشبيهها بالماء الذي أنزله الله تعالى من السماء وأختلط بنبات الأرض فأصبح هشيماً تذره الرياح[١]، وقد اختلف العلماء في توجيه دلالة (الولاية)، وفي قوله: (الوَلَاية) قراءتان: قرأ جمهور القرّاء (الوِلاية) بكسر الواو، ومعنى الولاية عندهم بمعنى الإمارة والسلطان والملك، وهي مصدر الوالي، وقرأ حمزة والكسائي (الوَلاية) بفتح الواو، ومعنى الولاية عندهم بمعنى الموالاة في الدين والنصرة، وهي مصدر الولي[٢]، وقد رجّح الطبري قراءة الكسر بقوله: "وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو، وذلك أنّ الله عقّب ذلك خبره عن ملكه وسلطانه، وأنّ من أحلّ به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذٍ، فإتباع ذلك الخبر عن انفراده بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التي لم يجرِ لها ذكر"[٣]، وذهب جمع كثير من العلماء إلى نقل قراءتيّ الكسر والفتح من دون الترجيح بينهما[٤]، ورجح السيد الطباطبائي قراءة الفتح، إلّا أنّه يرى أن المعنى فيهما واحد بالكسر وبالفتح[٥]، موجهاً دلالة (الولاية) بحسب المعنى المعنى العام الوارد في ألفاظ مادة (و ل ي) في القرآن الكريم جميعها، إذ قال: "والحق والله أعلم أنّ الولاية بمعنى مالكية التدبير وهو المعنى الساري في جميع اشتقاقاتها"[٦]، المعنى الذي ذهب إليه الطباطبائي قريب من المعنى الذي ذهب إليه الطبري، إلّا أنّ الطبري رجح دلالة (الولاية) بالملك والسلطان بناءً على ما جاء في سياق الآية التي بعدها، بخلاف الطباطبائي الذي استدل على دلالة (الولاية) بمالكية التدبير من خلال المعنى العام لجميع مشتقات هذه المادة

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١٥/٢٧٠، و تفسير الجلالين: ١٠٩٨.

(٢) ينظر: حجة القراءات، أبو زرعة: ١/٤١٩، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري: ٢/٢٧٧، والكشف والبيان، الثعلبي: ٦/١٧٢، والتبيان، الطوسي: ٧/٤٩.

(٣) تفسير الطبري: ١٥/٢٧٠.

(٤) ينظر: التبيان، الطوسي: ٧/٤٨، ومفاتيح الغيب، الرازي: ٢١/١٣٠، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٥/١٦٠، تفسير الجلالين: ١٠٩٨، التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٥/٣٢٨.

(٥) ينظر: الميزان: ١٣/٣١٧.

(٦) المصدر نفسه والجزء نفسه والصفحة نفسها.

الواردة في القرآن الكريم، ويتضح من خلال ما تقدّم أنّ دلالة (الولاية) بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى العام لمعاني هذه المادة في القرآن الكريم هي ولاية الملك والإدارة والتدبير[١].

﴿وَلَايَتِهِم﴾

ورد هذا التصريف بهذه الصيغة من مادة (و ل ي) في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى: "**ﱡﭐ بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ﱠ**"[٢]، نلحظ أنّ مشتق مادة (و ل ي) في هذه الآية جاء بصيغتين مختلفتين، في الأولى جاء بصيغة الجمع في جملة مثبتة باسم الاشارة وهو قوله: **ﱡﭐ تز ثم ثن ثى ثي ﱠ** وفي الثانية جاء بصيغة المصدر مسبوقاً ب(ما) النافية وهو قوله: **ﱡﭐ كا كل كم كى كي لم ﱠ** وعند النظر في سياق هذه الآية، نجد أنّها جاءت في سياق التمييز بين ثلاث طوائف: المهاجرين الذين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والأنصار الذين آووهم، والذين آمنو ولم يهاجروا، فأمَا الطائفتين الأولى والثانية وهم المهاجرون والأنصار، فقد رويّ عن ابن عباس(ت٦٨هـ) أنّه قال: إنّ المراد من معنى الولاية في قوله تعالى: "**ﱡﭐ تز ثم ثن ثى ثي فى ﱠ** "يعني في الميراث جعل بين المهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام...كانوا يتوارثون بالهجرة...فنسخ الله ذلك بقوله **ﱡﭐ كا كم لج لح لخ لم ﱠ**..."[٣] وذهب أكثر المفسرين إلى أنّ هذه الولاية هي في النصرة والموالاة والمعاونة دون الميراث، انطلاقاً من أنّ الولاية أكثر ما تكون في النصرة والموالاة والمعاونة وهذا هو غرضها هنا[٤]، وردّ السيد الطباطبائي على الآراء التي التي ذهبت إلى أنّ الولاية بين هاتين الطائفتين من المهاجرين والأنصار أن تكون ولاية ميراث، أو ولاية نصرة أو أمن، مستدلاً بأنّ الولاية جاءت مطلقة دون تحديد، إذ يقول فالولاية في هذه الآية: "أعم من ولاية الميراث وولاية النصرة وولاية الأمن، فمن آمن منهم كافراً كان نافذاً عند الجميع، فالبعض من الجميع ولي البعض من الجميع كالمهاجر هو ولي كل مهاجر وأنصاري، والأنصاري ولي كل أنصاري ومهاجر، كل ذلك بدليل اطلاق الولاية في الآية فلا شاهد على

---

(١) ينظر: ولاية الإنسان في القرآن، الشيخ جوادي آملي: ٦١.

(٢) سورة الأنفال/ الآية: ٧٢.

(٣) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: ٨٣/١٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه والجزء نفسه والصفحة نفسها.

صرف الآية إلى ولاية الإرث بالمؤاخاة التي كان النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد جعلها في بدء الهجرة...وكانوا يتوارثون بها زماناً ثمّ نسخت"[١]، وأمّا الطائفة الثالثة الذين آمنوا ولم يهاجروا فقد نفت الآية أن يكون لهم نصيب من ولاية المهاجرين والأنصار حتى يهاجروا، كما في قوله: ﴿كا كل كم كى كي لم لى لي ما﴾ ، فالولاية المنفية هنا، مثبتة في القسم الأول من الآية ﴿ثز ثم ثن ثى ثي﴾[٢].

وعليه فإنّ المصدر(ولايتهم) قد جاء نكرة مسبوقاً ب(ما) النافية، و (من) الزائدة، ليفيد نفي عموم ولاية المهاجرين والأنصار عن الذين آمنوا ولم يهاجروا حتى يهاجروا، والمراد به: ما لكم من ولايتهم ونصرتهم من شيء حتى تهاجروا، ويتضح من أقوال أغلب العلماء بأنّ ذهابهم إلى هذه الدلالة من خلال ما ورد في قراءة المصدر(الولاية) بكسر الواو وفتحها التي مرّ ذكرها في الآية السابقة.

المبحث الثاني: المصدر الميمي:

هو "اسم مبدوء بميم زائدة مفتوحة لغير المفاعلة على مجرد الحدث"[٣]، أيّ أنّ المصدر الميمي يدل على معنى المصدر، ويشترط في صوغه: أن يصاغ من الفعل الثلاثي المجرد على زنة (مفعل) بفتح الميم والعين وسكون الفاء، و يصاغ من غير الثلاثي على زنة (مُفاعَل) بإبدال حرف المضارع ميماً وفتح ما قبل الآخر[٤]، وزنة (مَفعَل) من الأوزان التي يشترك فيها المصدر الميمي واسما الزمان والمكان، والألفاظ التي تأتي على بناء (مَفْعَل) لا يمكن تمييزها بوصفها مصدراً ميمياً أو اسما للزمان والمكان إلّا من خلال السياق الذي يعد الفيصل في الحكم عليها[٥]، وأختلف العلماء في لفظ (مَولَى) على زنة (مَفعَل)، هل هو مصدر ميمي؟ أم هو اسم مكان؟ إذ يرى أمالي محمد أنور والسيد الطباطبائي ومحي الدين درويش: أنّه مصدر ميمي، ويطلق على

---

(١) الميزان، الطباطبائي: ١٤١/٩.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٢١٧/١٥.

(٣) الوافي في قواعد الصرف العربي، يوسف عطا الطريفي: ٨٥.

(٤) ينظر: التطبيق الصرفي، الدكتور عبده الراجحي: ٧٢.

(٥) ينظر: الصرف الكافي، أيمن أمين: ١٤٩.

الناصر ومالك الرق والمحب والقيّم وعلى كل من يلي أمر غيره[١]، ويرى العلامة المصطفوي: "أنّه اسم مكان بمعنى محل الولاية"[٢]، وعليه نذهب مع ما ذهب إليه أكثر العلماء من أنّ (مولى) مصدر ميمي.

أمّا من حيث الشبه مع غيره من المصادر الأخرى، فالمصدر الميمي يشبه المصدر الأصلي من حيث المعنى، فدلالتهما واحدة وهي الدلالة على الحدث المجرد، ويفترق المصدر الميمي عنه، في أنّ دلالته على الحدث تكون أكثر تأكيداً[٣]، والمصدر الميمي الذي ورد ذكره من مادة (و ل ي) في القرآن الكريم هو(مولى) من الثلاثي المجرد(و ل ي) على زنة (مَفعَل)، وهو من ألفاظ المشترك اللفظي، وقد ذكر له المعجميون معانٍ كُثر منها: المالك، والعبد، والمُعتِق، والمُعتَق، والصاحب، وبني العم، والجار، والحليف، والولي، وما إلى ذلك من المعاني الأخرى[٤]، وقد ورد المصدر (مَوْلَى) في القرآن الكريم على وزن (مَفعَل)، وقد جاء بستة تصريفات وهي: (المَوْلَى، مَوْلَى، مَوْلَانا، مَوْلَاكُم، مَوْلَاهُ، مَوْلَاهُم) في ثمانية عشر موضع من القرآن الكريم، وهو على النحو الآتي:

﴿المَوْلَى﴾

ورد هذا التصريف بهذه الصيغة من مادة (و ل ي) معرفاً بأل في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وقد جاء بأسلوب المدح في موضعين منها، وفي أسلوب الذم في موضع واحد، ولم يأتِ هذا المشتق من المشتقات الأسمية والصيغ الفعلية من مادة الجذر (و ل ي) بأسلوب المدح والذم؛ إلّا مع هذا التصريف فقط، وتوجد في اللغة العربية ألفاظ كثيرة تدل على المدح والذم، بعضها يحتاج إلى قرينة حتى يفهم، وبعضها الآخر لا يحتاج إلى قرينة، ومن الألفاظ التي تدل على المدح العام والذم العام ولا تحتاجان إلى قرينة، وتكون دلالتهما صريحة هما: (نِعمَ) و

---

(١) ينظر: فيض الباري على صحيح البخاري، أمالي محمد أنور، باب: (المراضع من المواليات وغيرهن): ٨٠/٤، والميزان، الطباطبائي: ٢٣٢/١٨، واعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش: ٤٢٢/١.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة المصطفوي: ٢٢٦/١٣.

(٣) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن: ٢٣١/٣.

(٤) ينظر: تاج العروس، الزبيدي: ٢٤٣/٤٠.

(بِئسَ)[١]، قال سيبويه: "وأصل نعم وبئس، نِعم، وبِئس، وهما الأصلان اللذان وضعا في الرداءة والصلاح، ولا يكون منهما فعل لغير هذا المعنى"[٢]، واقترن لفظ المولى بالفعل (نِعم) معرفاً بأل في موضعين من القرآن الكريم[٣]، وقد جاءا في سياق وجوب الجهاد على المسلمين والاعتصام بالله تعالى، منها: قال تعالى: "ئزأضخ ضم طح ظم عج عمغج غم فج فح فخئر "[٤]، عند النظر في سياق الآية التي سبقت هذه الآية وهو قوله تعالى:"ئزأتم تهثم جح جم حج حم خج خمسج سح سخ سم صح صخ صم ضجئر "[٥]، نجد أنّها جاءت في سياق يأمر الله تعالى المسلمين بمقاتلة الكافرين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله تعالى، وقوله في هذه الآية مورد البحث: ئزأضخ ضمئر، معادل لقوله: ئزسح سخئر ، والمعنى فإن لم ينتهوا عن قتالكم فالله عليم بهم، وإن أعرضوا فالله ناصركم ومعينكم[٦]، وقد أختلف المفسرون في توجيه دلالة (المولى)، قال الطبري: "نعم المعين"[٧]، ويرى السمرقندي(ت٣٧٥ه):"يعني الحفيظ والمانع"[٨]،ويقول السمعاني(ت٤٨٩ه):"القيّم بالأمور"[٩]، وقال الطوسي هو بمعنى "الناصر"[١٠]، "الناصر"[١٠]، وقال الطبرسي(ت٥٤٨ه): "نعم السيد والحافظ"[١١]، وإلى غير ذلك من الأقوال، ولا توجد قرينة في السياق تحدد المعنى المراد من المولى هنا.

ويتضح ممّا تقدّم: أنّ المفسرين ذهبوا إلى معانٍ يدور بعضها في فلك المعنى الوضعي؛ وبعضها الآخر لم يذكره المعجميون كالمعين، والحفيظ، والمانع، ويمكن أن تُعد هذه

---

(١) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن: ٣٦٧/٣، ومعاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي: ٢٩٦/٤.

(٢) الكتاب، سيبويه: ٣٠١/١.

(٣) سورة الأنفال/ الآية: ٤٠، وسورة الحج/ الآية: ٧٨.

(٤) سورة الأنفال/ الآية: ٤٠

(٥) سورة الأنفال/ الآية: ٣٩.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية: ٥٢٨/٢.

(٧) جامع البيان، الطبري: ١٨٤/١١، وينظر المحرر الوجيز، ابن عطية: ٥٢٨/٢.

(٨) بحر العلوم، السمرقندي: ١٨/٢.

(٩) تفسير القرآن، السمعاني: ٢٦٥/٢.

(١٠) التبيان، الطوسي: ١٢١/٥.

(١١) مجمع البيان، الطبرسي: ٣٤٥/٤.

المعاني جهداً معجمياً للمفسرين، وممّا ساعد المفسرون في الاستدلال على تلك المعاني، السياق التي وردت فيه تلك الألفاظ، والتي ناسبت المعاني التي ذهبوا إليها، وبالتالي كل هذه المعاني يحتملها سياق الآية؛ لأنّ الله تعالى هو الذي أمرهم بالقتال، وفي قبال هذا الأمر، وعدهم أن يعينهم ويحفظهم وينصرهم ويتولى أمورهم، ويجب على المسلمين أن يثقّوا بنصرته جلّ جلاله.

وفضلاً عن ذلك اقترن لفظ (المولى) بالفعل (بئس) في موضع واحد من القرآن الكريم، وقد وقع فاعلاً مخصوصاً بالذم، في قوله تعالى: "**ئزاَّصم ضج ضح ضخ ضم طحظم عج عم غج غمئر** "[1]، جاءت هذه الآية في سياق النفي والإثبات، إذ نفى الله سبحانه وتعالى النفع والضر عن معبود الذين أشركوا به عزّ وجل في الآية السابقة، وهو قوله: "**ئزاَّتخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خمسج سح سخ سم صحئر** "[2]، أمّا في هذه الآية فقد أثبتهما له، فقد جعل تعالى الضر أقرب من النفع؛ وذلك لأنّ ضرر الأصنام في الدنيا أقرب من نفعها، أمّا في الآخرة فضررها محقق لا محال[3]، وأجمع العلماء على أنّ المراد من المولى: لبئس الناصر، ومن العشير: لبئس الصاحب[4]، إلّا الطبري فأنّه يرى أنّ المراد من المولى: لبئس ابن العم ومن العشير: الخليط والصاحب[5].

﴿مَوْلَى﴾

ورد هذا التصريف بهذه الصيغة من مادة (و ل ي) نكرة في موضعين من القرآن الكريم في قوله تعالى: "**ئزاَّمخ مم مى مي نج نح نخ نم نى نيئر** "[6]، تتحدث هذه الآية عن يوم الفصل، ذلك اليوم الذي يفصل الله تعالى فيه الحق عن الباطل، كما دلت عليه الآية

---

(١) سورة الحج/ الآية: ١٣.

(٢) سورة الحج/ الآية: ١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٠١/٥، وينظر التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢١٦/٧، والجديد في التفسير، محمد السبزواري: ١٤/٥.

(٤) ينظر: تفسير جوامع الجامع، الطبرسي: ٥٥٠/٢، والبحر المحيط، الأندلسي: ٢١٦/١٧، وصفوة التفاسير، الصابوني: ٢٨٣/٢.

(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٤٧٧/١٦.

(٦) سورة الدخان/ الآية: ٤١.

السابقة في قوله تعالى: "**ئزأخ لم لى لي مجئر** "[١]، وكلمة (يوم) في هذه الآية بدل من يوم الفصل[٢]، نلحظ أنّ هذه الآية جاءت بأسلوب النفي، أيّ نفي إغناء المولى عن مولاه ونفي النصرة عنه أيضاً، والفرق بين الإغناء والنصرة هو "إنّ الإغناء يكون فيما استقل المغني في عمله، ولا يكون لمن يغني عنه صنع في ذلك، والنصرة تكون فيما كان للمنصور بعض أسباب الظفر الناقصة ويتم له ذلك بنصرة الناصر"[٣]، ومعنى ذلك أنّ قوله تعالى: **ئزأمم مىئر** يشير إلى أنّ أي إنسان لا يستطيع في ذلك اليوم أن يحل مشكلة غيره، وقوله **ئز نم نى نيئر** يشير إلى أنّ كل البشر عاجزون عن نصرة بعضهم بعضاً حتى وإن تعاونوا فيما بينهم[٤]، وقد أجمع المفسرون على أنّ المراد من نفي المولى في يوم الفصل، أيّ لا ينفع القريب قريبه والصاحب صاحبه، ويؤيده قوله تعالى: "**ئزأضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فجئر** "[٥]"[٦]، والمولى من مادة (و ل ي) تعني في الأصل "أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية والنصرة"[٧]، يقول الطاهر بن عاشور وقد جاء: "تنكير مولىً في سياق النفي لإفادة العموم، أيّ لا يغني أحد من الموالي كائناً من كان عن أحد من مواليه كائناً من كان"[٨]، والملاحظ أنّ هذه الآية لم تنفِ شفاعة القريب لقريبه والصاحب لصاحبه لصاحبه بأي معنى كان، سواء أكان من حيث النسبة أو الدين أو الصداقة أو الإعتقاد نفياً قاطعاً، بل استثنت من ذلك إلّا من رحمه الله تعالى، أيّ تغني شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض، كما هو واضح من قوله تعالى في الآية التي بعدها: "**ئزأهم هى هي يجيح يخ يم يى ييئر**

(١) سورة الدخان/ الآية: ٤٠.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود: ١٠٧/٥.

(٣) الميزان، الطباطبائي: ١٤٨/٨.

(٤) ينظر: تفسير الأمثل، الشيرازي: ٤٦٩/١٢.

(٥) سورة المؤمنون/ الآية: ١٠١.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢٥٩/٧، والأمثل، الشيرازي: ٤٦٩/١٢، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري: ١٠٦/٦.

(٧) المفردات، الراغب: ٨٨٥.

(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣١٢/٢٥.

"[١][٢]، ويؤيد ذلك ما جاء في قوله تعالى: "ئزئي بر بز بم بنئر "[٣]، ويؤيده كذلك ما رويّ عن عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ئزهم هى هي يجيحئر أنّه قال: "نَحْنُ وَاللهِ الَّذِي رَحِمَ اللهُ ونَحْنُ وَاللهُ الَّذِي استَثْنَى اللهُ لكِنَّا نُغْنِي عَنْهُمْ"[٤]، وعليه فإنّ الآية وإن نفت إغناء القريب عن قريبه والصاحب عن صاحبه في ذلك اليوم وهو يوم القيامة؛ إلّا أنّها استثنت من ذلك شفاعة المؤمنين بعضهم البعض من ناحية القرابة والصداقة.

وقوله تعالى: "ئزأنج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخئر"[٥]، جاء المصدر (مَوْلَى) في هذه الآية نكرة في سياق الإشارة إلى نصر المؤمنين وهلاك الكافرين وتدميرهم فيما تقدّم على هذه الآية وهو قوله تعالى: "ئزأفد فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لجلح لخ لم لهجم محئر "[٦]، فضلاً عن ذلك فإنّ هذه الآية تضمنت التعليل باسم الإشارة وهو قوله: (ذلك)، وقد جاءت بأسلوب التقابل* بين فريقيّ الإيمان والكفر،[٧]، وقد أشار الطبري إلى هذا التعليل بقوله: "هذا الفعل الذي فعلنا بهذين الفريقين؛ فريق الإيمان وفريق الكفر؛ من نصرتنا فريق الإيمان بالله وتثبيتنا أقدامهم، وتدميرنا على فريق الكفر، ئزأن نح نخ نم نه هج ئر يقول: من أجل أن الله وليُّ من آمن به وأطاع رسوله"[٨]، وقد روي عن قتادة أنّ هذه الآية نزلت حينما "كان رسول الله في

---

(١) سورة الدخان/ الآية: ٤٢.

(٢) ينظر: لباب التأويل، الخازن: ١٢٠/٤.

(٣) سورة الأنبياء/ من الآية: ٢٨.

(٤) الحديث أخرجه الكافي في كتابه، كتاب: (الحجة)، باب: (باب نكت ونتف من التنزيل في الولاية)، رقم الحديث: (٥٦): ٢٦٦/١-٢٧٦.

(٥) سورة محمد/ الآية: ١١.

(٦) ينظر: الميزان، الطباطبائي: ٢٣٠/١٨.

* وهذا التقابل في القرآن الكريم هو ما يسمى في الدلالة اليوم باسم (التقابل الدلالي) لا التقابل المراد به الطباق والمقابلة المعروف عند البلاغيين، ووقف عنده من كتب في الدلالة، إذ يقول: "إنّ تقابل المعاني أوسع دائرة من مفهوم الطباق والمقابلة عند البلاغيين، بل إنّ الطباق والمقابلة يكاد يكونان جزءاً من تقابل المعاني، فهما جزء منه، وينطويان تحته"، تقابل المعاني في سورة محمد، د. عبد العزيز بن صالح العمار: ٣٠.

(٧) ينظر: تقابل المعاني، د. عبد العزيز صالح: ٥٤.

(٨) جامع البيان، الطبري: ١٩٦/٢١.

الشعب يوم أُحد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت، فنادى المشركون أعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال إن لنا عزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم"[١].وقد أجمع المفسرون على أنّ المراد من المولى هنا الولي والناصر، وهذه الولاية هي ولاية خاصة بالمؤمنين وهي ولاية النصر، لا الولاية العامة التي تعني ولاية الملك والربوبية [٢]، والتي سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

ومن الملاحظ أنّ الآية جاءت بأسلوبي النفي والإثبات عن طريق التقابل، فأثبتت ولاية الله تعالى للمؤمنين وهو قوله: **ﱡﭐ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﱠ** لما فيها من تأكيد المعنى وتقريره، ونفت ولاية الله تعالى للكافرين عن طريق (لا) النافية للجنس وهو قوله: **ﱡﭐ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﱠ** وهذه من حكمة الباري عزّ وجلّ الثابتة والمقررة[٣].

﴿مَوۡلَىٰنَا﴾

ورد هذا التصريف بهذه الصيغة من مادة (و ل ي) مضافاً إليه ضمير المتكلم في موضعين من القرآن الكريم[٤]، منها: قال تعالى: "ﱡﭐ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﱠ"[٥]، جاء المصدر (مولى) في هذه الآية والآية التي قبلها "ﱡﭐ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ"[٦] في سياق أسلوب الدعاء، وقد جاءتا هاتان الآيتان الخاتمتين في آخر سورة البقرة في وصف الله تعالى للمؤمنين بالصدق

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية: ١١٣/٥، وينظر: الكشاف، الزمخشري: ١٠١٩، ولباب النقول في أسباب النزول، السيوطي: ٢٣٤.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل، النسفي: ٦٤٥/١، و أنوار التنزيل، البيضاوي: ١٢١/٥، والميزان، الطباطبائي: ٢٣٠/١٨، ومجمع البيان، الطبرسي: ١٢٧/٩.

(٣) ينظر: تقابل المعاني، د. عبد العزيز بن صالح العمار: ٥٤.

(٤) سورة البقرة/ الآية: ٢٨٦، وسورة التوبة/ الآية: ٥١.

(٥) سورة البقرة/ الآية: ٢٨٦.

(٦) سورة البقرة/ الآية: ٢٥٨.

والسمع والطاعة مع شعورهم بالتقصير، طالبين من الله جلّ ذكره المغفرة، ثمّ علّمهم عزّ وجل أن يدعوه بما يناسب مقامهم[١]، وقد جاء لفظ (مولانا) بعد طائفة من الأدعية، ثمّ فصل بينها بالضمير بقوله: ﴿ نز هج همئر ﴾ ، والسبب في ذلك؛ "لأنّه كالعلة للدعوات الماضية: أي دعوناك ورجونا منك ذلك لأنّك مولانا، ومن شأن المولى الرفقُ بالمملوك، وليكون هذا أيضاً كالمقدمة للدعوة الآتية. وقوله "فانصرنا على القوم الكافرين" جيء فيه بالفاء للتفريع عن كونه مولى، لأنّ شأن المولى أن ينصر مولاه"[٢]. وقوله جلّ ذكره: ﴿ نزهج هم هٰ يج يح يخ ئر ﴾ جاء بعد الدعوات التي سبقت هذا الدعاء وهو "استيناف ودعاء مستقل، والمولى هو الناصر لكن لا كل ناصر بل الناصر الذي يتولى أمر المنصور فإنّه من الولاية بمعنى تولي الأمر"[٣]، واختلف المفسرون في توجيه دلالة المصدر (مولانا) في هذه الآية، إذ يرى الطبري: "أنت ولينا تلينا بنصرك"[٤]، وذهب الطوسي إلى أنّ: "أنت ولينا أي أولى بالتصرف فينا"[٥]، ويقول الخازن(ت٧٢٥هـ):"أي ناصرنا وحافظنا ووليّنا ومتولي أمورنا"[٦]، ويقول الفيض الكاشاني(ت١٠٩١هـ): "سيدنا ونحن عبيدك"[٧].

﴿مَولَاكُم﴾

ورد هذا التصريف بهذه الصيغة من مادة (و ل ي) متصلاً به ضمير المخاطب في خمسة مواضع من القرآن الكريم[٨]، منها: قال تعالى: "﴿ نزأنن نى ني ىٰ ير يز يم ين يىيي ئج

(١) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى: ٦٧٠/١.
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣/ ١٤١– ١٤٢.
(٣) الميزان، الطباطبائي: ٤٤٦/٢.
(٤) جامع البيان، الطبري: ١٦٥/٥.
(٥) التبيان، الطوسي: ٣٨٧/٢، وينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ١٨٧/٢.
(٦) تفسير الخازن: ٢٢١/١.
(٧) الصافي، الفيض الكاشاني: ٤٩٣/١، وينظر: زبدة التفاسير، الشريف الكاشاني: ٤٤٣/١.
(٨) سورة آل عمران/ الآية: ١٥٠، وسورة الأنفال/ الآية: ٤٠، وسورة الحج/ الآية: ٧٨، وسورة الحديد/ الآية: ١٥، وسورة التحريم/ الآية: ٢.

نج نحنخ ثم ثهبج بح بخبر "[١]، جاء لفظ المصدر(مولاكم) في سياق خطاب المؤمنين للمنافقين والكافرين على طريقة التوبيخ والتنديم، بأن قالوا لهم اليوم والمراد به يوم القيامة، لا يؤخذ منكم بدلاً وعوضاً من عذابكم[٢]، وفي توجيه دلالة المصدر (مولاكم) قولين نقلهما الفخر الرازي(ت٦٠٦هـ) بقوله: "(أحدها) قال ابن عباس (مولاكم) أي مصيركم، وتحقيقه أنّ المولى موضع الولي، وهو القرب. فالمعنى أنّ النار هي موضعكم الذي تقربون منه وتصلون إليه، (والثاني) قال الكلبي: يعني أولى بكم وهو قول الزجاج والفراء وأبي عبيدة"[٣]، واختار القول الثاني أكثر المفسرين منهم: الطبري[٤]، والطوسي[٥]، والطبرسي[٦]، وذهب الزمخشري(ت٥٣٨هـ) في إثبات هذا المعنى من خلال الاستشهاد بقول لبيد[٧]، يقول لبيد:

"فَغَدَتْ كلا الفَرجَينِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلى المخافة خلفُها وأمامُها"[٨].

والمراد أولى المخافة، وفي تحقيق قوله: **ئزنج نحنخ ثم ثهبجبر** يقول الزمخشري: "وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم أي: مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم. كما قيل: هو مئنة للكرم، أي: مكان لقول القائل إنه لكريم"[٩]، وقد ذكر الشيخ المفيد(ت٤١٣هـ) عشرة معاني لغوية للفظ (المولى) استخلصها من كتب اللغويين والمفسرين ومما جاء في شعر العرب، وقد جعل المعنى الأول من معانيه (الأولى) عاداً إيّاه الأصل والعماد، انطلاقاً من تفسير هذه الآية، وأرجع باقي

---

(١) سورة الحديد/ الآية: ١٥.

(٢) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٤٠٧/٢٢، والتحرير والتنوير، الطاهر: ٣٨٨/٢٧.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٢٩/٢٩.

(٤) ينظر: جامع البيان، الطبري: ٤٠٨/٢٢.

(٥) ينظر: التبيان، الطوسي: ٥٢٧/٩.

(٦) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي:

(٧) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ١٠٣٨.

(٨) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٧٣.

(٩) الكشاف، الزمخشري: ١٠٨٣، وينظر: معاني القرآن، الفراء: ٤٠/٣، والكامل في اللغة والأدب، المبرد: ٣٩/٤.

الألفاظ إلى هذا المعنى(الأولى): كمالك الرق والحليف والجار والناصر وابن العم وما إلى ذلك من المعاني الأخرى[١].

وعليه فإنّ دلالة المصدر (مولاكم) في هذه الآية بمعنى: (الأولى): بناءً إلى ما ذهب إليه أكثر المفسرين واللغويين.

﴿مَوۡلَىٰهُ﴾

ورد هذا التصريف بهذه الصيغة من مادة (و ل ي) في موضعين من القرآن الكريم منها: قال تعالى: "ئزاً **كا كل كم كى كي لم لىلي ما مم نر نز نم نن ىٰ ني ىٰ ير يز يم ين يى يي**ئر "[٢]، جاءت هذه الآية في سياق معاتبة بعض أزواج النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والخطاب فيها موجه لعائشة وحفصة، وهذا ما أجمع عليه جمهور المفسرين[٣] استناداً إلى ما رويّ عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في حديث طويل عن سؤال وجّه له من قبل الصحابي ابن عباس (رضي الله عنه) من المقصود بالمرأتين من أزواج النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في قوله تعالى: ئز**كا كل كم كى كي لم لىلي**ئر ؟ قال عمر: "واعجاً لك يا بن عباس، هما عائشةُ وحَفصة..."[٤]، وقد انتقل السياق من الغيبة في الآية التي سبقت هذه الآية وهو قوله تعالى: "ئزاً ئرئزئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تزتم تن تى تي ثر ثز ثم ثنثى ثي فى في قىئر "[٥]، إلى الخطاب في هذه الآية وهو قوله: ئز**كا كل كم كى**ئر على سبيل الالتفات؛ ليكون أبلغ في معاتبتهما في إفشاء سر النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من قبل حفصة لعائشة، وقد نبههما الله تعالى إن لم تتوبا عن تظاهركما وتعاونكما عن إفشاء سره (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فإنّ الله تعالى هو وليه

---

(١) ينظر: أقسام المولى في اللسان، الشيخ المفيد: ٢٧-٣٤.

(٢) سورة التحريم/ الآية: ٤.

(٣) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي: ٣٤٦/٩، والنكت والعيون، الماوردي: ٣٨/٦، وتفسير القرآن العظيم، السمعاني: ٤٧٤/٥، ومعالم التنزيل، البغوي: ١٦٤/٨، والمحرر الوجيز، ابن عطية: ٣٣١/٥، وغيرهم.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: (النكاح)، باب: (موعظة الرجل ابنته حال زوجها)، رقم الحديث: (٥١٩١): ١٣٢٢.

(٥) سورة التحريم/ الآية: ٣.

وناصره[١]، يقول السيد الطباطبائي: "وضمير الفصل في قوله: "فإن الله هو مولاه" للدلالة على أنّ لله سبحانه عناية خاصة به (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ينصره ويتولى أمره من غير واسطة من خلقه"[٢]، والملاحظ أنّ ولاية الله سبحانه وتعالى ونصرته للنبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) جاءت بأسلوب التوكيد ب (إنّ)، ثمّ عطفت عليها نصرة الملك جبريل (عليه السلام) وصالح المؤمنين والملائكة، وفي دلالة هذا العطف يقول الطاهر بن عاشور: "وعطفُ "وجبريل وصالح المؤمنين" في هذا المعنى تنويه بشأن رسول الوحي من الملائكة وشأن المؤمنين الصالحين. وفيه تعريض بأنّهما تكونان (على تقدير حصول هذا الشرط) من غير الصالحين...وقوله "والملائكة بعد ذلك ظهير" عطف جملة على التي قبلها، والمقصود منه تعظيم هذا النصر بوفرة الناصرين تنويهاً بمحبة أهل السماء للنبيء صلى الله عليه وسلم وحسن ذكره بينهم فإنّ ذلك مما يزيد نصر الله إياه شأناً"[٣].

﴿مَوۡلَاهُم﴾

ورد هذا التصريف من مادة (و ل ي) بصيغة الجمع المتصل به ضمير الغائب في موضعين من القرآن الكريم[٤]، وقد جاء معنى المصدر فيهما بمعنى (المالك)، وفي سياق الحديث عن يوم القيامة، منهما: قال تعالى: "**ئزيم بن بى بي تر تزتم تن تى تي ثر ثز ثم ثن**"[٥]، جاء المصدر (مولاهم) في سياق الحديث عن وفاة الأنفس جميعها ورجوعها إلى الله تعالى في يوم القيامة، ليحاسبها ويجازيها على ما عملت في الدنيا، والمراد من المصدر (مولاهم): "مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم"[٦]، يقول السيد الطباطبائي: "فالمولى هو الذي يملك الرقبة فيكون من حقه جواز التصرف فيها كيفما شاء، وإذ كان له تعالى حقيقة الملك، وكان هو المتصرف بالإيجاد والتدبير والإرجاع فهو المولى الحق الذي يثبت له معنى المولوية ثبوتاً لا زوال له بوجه

---

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ١١٢٠، وتقريب القرآن إلى الأذهان، محمد الحسيني الشيرازي: ٤٥٣/٥، والمحرر الوجيز، ابن عطية: ٥٠٥/٣.

(٢) الميزان، الطباطبائي: ٢٩/ ٣٣١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور:٣٥٨/٢٨.

(٤) سورة الأنعام/ الآية: ٦٢، وسورة يونس/ الآية: ٣٠.

(٥) سورة الأنعام/ الآية: ٦٢.

(٦) الكشاف، الزمخشري: ٣٣١، وينظر: تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي: ١٤٩/٧.

البتة"[١]، ولربما يسأل سائل: إنّ ولاية المالكية لله تعالى هنا تشمل المؤمنين والكافرين على حدٍ سواء، وقد قال جلّ ذكره في آية أخرى ئزهم هٰ يج يح يخئر فكيف يكون الجمع بينهما ؟ والجواب عن ذلك: أن الولاية في سورة محمد في قوله تعالى: "ئزآنج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخئر"[٢]، هي ولاية النصر خاصة بالمؤمنين، إذ لا ناصر للكافرين، أمّا الولاية هنا بمعنى ولاية المالكية وهي ولاية عامة تشمل المؤمن والكافر، والله تعالى مالك الخلائق كلها وهو الذي يتولى أمورهم، فالفرق بينهما أبيّن من أن يحتاج إلى توضيح[٣].

الخاتمة

بعد ختام هذه الرحلة مع كتاب الله العزيز أوجز أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١- كشفت الدراسة أنّ لمصادر مادة (ولي) دلالات مختلفة يجمعها أصل واحد وهو القرب، وهو حصول الشيء بعد الشيء بلا فاصل بينهما، ومن مصاديقه: المالك، والمتصرف، والناصر، والصاحب، والأولى، وما إلى ذلك.

٢- كشفت الدراسة أنّ هناك بعض الدلالات التي فرضها السياق القرآني لم ترد في المعجم اللغوي، ممّا يعد جهداً معجمياً للمفسر، والذي ساعده في الوصول إليها هو السياق القرآني.

٣- أوضحت الدراسة أنّ ولاية الله تعالى للمؤمنين هي ولاية خاصة بالنصرة والحفظ والتسديد الإلهي، بينما ولاية المالكية تشمل المؤمنين والكافرين على حدٍ سواء.

٤- كشفت الدراسة أنّ مصادر مادة (وَلِيَ) من ألفاظ المشترك اللفظي التي تحتمل لأكثر من معنى.

٥- كشفت الدراسة أن مصادر مادة (وَلِيَ) جاءت على بنائين فقط وهما: (فَعالة، مَفْعَل).

---

(١) الميزان، الطباطبائي: ١٣٢/٧.

(٢) سورة محمد/ الآية: ١١.

(٣) ينظر: معالم التنزيل، البغوي: ١٥٢/٣، والكشاف، الزمخشري: ١٠١٩.